البشارات

لا يزال بين أيدينا إلى الآن بقية من البشارات بنبى الإسلام نكتفى بعرض نماذج منها فى إيجاز شديد مما جاء فى الأسفار المقدسة فى الديانات : اليهودية ، والمسيحية ، والبرهمية ، والمجوسية .

*

أولاً - بشارات العهد القديم

١ - بشارة التوراة :

(أ) تقول التوراة - التى تكوِّن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم - إنه قبيل موت موسى فإنه جمع بنى إسرائيل كلهم ووقف فيهم معلِّماً وخطيباً وكان « هذا هو الكلام الذى كلَّم به موسى جميع بنى إسرائيل فى عبر الأردن .. فى أرض موآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً : الرب إلٰهنا كلَّمنا فى حوريب .. فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التى أنا أُعلِّمكم لتعملوها لكى تحيوا » (تثنية ١ : ١ - ٦ ، ٤ : ١) .

ولقد كان ما أعلنه موسى أمام جميع بنى إسرائيل تلك البشارة بنبى مرتقَب عظيم الشأن ، قال فيها :

« قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا ، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أُوصيه .

ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أُوصِهِ به أو الذى يتكلم باسم آلهة أُخرى فيموت ذلك النبى » .

(تثنية ١٨ : ١٧ - ٢٠)

بادىء ذى بدء نقول إن هناك إتفاقاً تاماً بين المسيحيين والمسلمين على أن هذا النبى المرتقَب لم يظهر فى بنى إسرائيل حتى عهد المسيح . ويتبين ذلك من شهادة كل من بطرس واستيفانوس الذى كان يعتقد أن تلك النبوءة قد تحققت فى المسيح .

فقد قال بطرس : « يسوع المسيح المبشَّر به لكم قبل .. فإن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلٰهكم من إخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به » (أعمال الرسل ٣ : ٢٠ - ٢٢) .

وكذلك قال استيفانوس : « هذا هو موسى الذى قال لبنى إسرائيل : نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلٰهكم من إخوتكم ، له تسمعون » .

(أعمال الرسل ٧ : ٣٧)

ولا مانع من الموافقة على ذلك بشرط الإقرار بأن : المسيح مثل موسى تماماً، فقد كان موسى عبد الله ورسوله وكذلك يكون المسيح .

إن هذا الإقرار يقضى تماماً على الخلافات فى أساسيات العقيدة بين المسيحيين بعضهم البعض من جانب ، وبينهم وبين المسلمين من جانب آخر .

ولكن واقع الأمر - للأسف الشديد - على خلاف ذلك من جميع الوجوه .

*

والآن ننظر فى علامات هذا النبى المرتقب فنجد كلمات النبوءة تقول :

(أ) « نبياً من وسط إخوتهم » : وإخوة بنى إسرائيل هم أولاد عمومتهم أو أقرباؤهم الذين يشاركونهم نسب الآباء ، فأولاد الجد الأكبر إبراهيم وأحفاده يعتبرون إخوة لأنهم ذُرِّية لأب واحد . وقد شاع استخدام لفظ « الإخوة » فى العهد القديم ليعنى الأقرباء وأولاد العمومة كما فى قوله :

« أرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم . هكذا يقول **أخوك إسرائيل** » (العدد ٢٠ : ١٤) .

فالمقصود بـ « إسرائيل » هنا هم الشعب الإسرائيلى الذى كان يقوده موسى ، وهؤلاء كانوا أحفاد ... إسرائيل (يعقوب) بن إسحق بن إبراهيم ، كما كان ملك أدوم وشعبه ، من أحفاد .. عيسو أخى إسرائيل ، علاوة على كون الأدوميين من ذرية إسماعيل بن إبراهيم . ذلك أن عيسو بن إسحق هذا كان قد ذهب إلى عمه « إسماعيل ، وأخذ محلة بنت إسماعيل بن إبرهيم .. زوجة له » .

(تكوين ٢٨ : ٩)

وتكرر نفس المعنى فى قوله : « أوصى الشعب قائلاً : أنتم مارون بتخم **إخوتكم بنى عيسو الساكنين فى سعير** » (تثنية ٢ : ٤) .

فلغة العهد القديم تقول إن : ذُرِّية الأحفاد يعتبرون إخوة لذُرِّية الأحفاد الذين يشتركون معهم فى الجد الأكبر .

مما سبق نتبين أن هذا النبي المرتقَب : ليس إسرائيلياً لكنه يشارك الإسرائيليين جدهم الأكبر .

(ب) « **مثلك** » إن أهم ما يتميز به موسى أنه جاء بكتاب أُنْزِل من عند اللّه هو التوراة ، يقوم على التوحيد الخالص ويدعو إلى قتل الوثنيين وعبَّاد الأصنام، ثم يفرض شرائع وأحكاماً تتعلق بالعبادات والمعاملات ..

كذلك يتميَّز موسى بأنه « **رجل حروب** » فقد نظَّم صفوف بنى إسرائيل وقادهم فى الحروب ضد أعدائهم . ومن أمثلة مجهوداته الحربية :

بعد خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر « أتى عماليق وحاربَ إسرائيل .. فقال .. موسى ليشوع (تابعه) انتخب لنا رجالاً واخرج حارب عماليق .. وأما موسى وهارون وحور فصعدوا على رأس التلة .. وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب » (خروج ١٧ : ٨ - ١١) .

ثم بدأ موسى يُجَهِّز بنى إسرائيل للحرب فقد « كلَّم الرب موسى فى برية سيناء .. فى السنة الثانية لخروجهم .. أحصوا كل جماعة بنى إسرائيل بعشائرهم .. من ابن عشرين سنة فصاعداً كل خارج للحرب فى إسرائيل » .

(العدد ١ : ١ - ٣)

وفى حروب بنى إسرائيل بقيادة موسى ذاقوا النصر حين أطاعوه وساروا وفق خطته فقد « أرسل إسرائيل رسلاً إلى سيحون ملك الأموريين قائلاً : دعنى أمر فى أرضك .. فلم يسمح سيحون لإسرائيل بالمرور فى تخومه .. وحاربَ إسرائيل فضربه إسرائيل بحد السيف وملك أرضه » .

(العدد ٢١ : ٢١ - ٢٤)

كذلك ذاق بنو إسرائيل الهزيمة فى معركة الجبل [١] **- وفيهم موسى- حين خرجوا إلى الحرب** بهواهم ورفضوا أوامره . وفى هذا قال لهم موسى : «تنطقتم كل واحد بعدة حربه واستخففتم الصعود إلى الجبل فقال الرب لى : قل لهم لا تصعدوا ولا تحاربوا .. فكلمتكم ولم تسمعوا بل عصيتم قول الرب وطغيتم وصعدتم إلى الجبل . فخرج الأموريون الساكنين فى ذلك الجبل للقائكم وطردوكم كما يفعل النحل وكسروكم » (تثنية ١ : ٤١ - ٤٤) .

(جـ) « **أما النبى الذى .. يتكلم باسمى كلاماً لم أوصِه أن يتكلم به .. فيموت ذلك النبى** » .

إن هذه الفقرة تحدد عقوبة النبى الذى يفترى على اللّه الكذب فيدّعى أن اللّه أوحى إليه ولم يوحَ إليه شىء ، فعقوبة ذلك النبى وأمثاله هى القتل . إن قوله : « يموت ذلك النبى » تعنى قتله وإلا تصبح عديمة المعنى ، لأن الموت نهاية كل حى سواء أكان نبياً كاذباً أم صادقاً

إن ذلك ما تقوله التراجم القديمة : « أما النبى الذى يجترىء بالكبرياء ويتكلم باسمى ما لم آمره بقوله ، أو باسم آلهة غيرى فليُقتل »

لقد درج الكتاب المقدس على استخدام عقوبة الموت لتعنى القتل كما فى حدود الزنا :

« إذا زنى رجل مع امرأة .. فإنه يُقتل ، الزانى والزانية .. وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لتزائهما ، تميت المرأة والبهيمة إنهما يُقتلان . دمهما عليهما » .

(لاويين ٢٠ : ١٠ ، ١٦)

---

(١) يذكرنا هذا على الفور بهزيمة المسلمين فى معركة جبل أحد لأنهم خالفوا تعليمات الرسول .

ونقف هنا لنقول : إن توراة موسى تنص بوضوح على أن كل نبى يقول بغير « لا إله إلَّا الله » فإن نهايته القتل ، لأنه متنبىء افترى على الله كذباً ، وعلَّم غير الحقيقة الكبرى ، وهى التوحيد الخالص ، حتى لو أتى ذلك الدَّعِىّ بكل المعجزات والأعاجيب . إن هذا ما تقوله التوراة :

« إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلماً ، وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلَّمك عنها قائلاً : لنذهب وراء آلهة أخرى .. فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالِم .. لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلٰهكم ..

وذلك النبى .. يُقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم » .

(تثنية ١٣ : ١ - ٥)

إن آية صدق النبى - إذن - كل نبى ، هو أن يقول ويُعلِّم « لا إلٰه إلا الله ».

*

والآن نقول : إن النبى المرتقَب الذى لا تزال تبشِّر به التوراة - إلى الآن - لا يمكن أن يكون سوى محمد نبى الإسلام ، فهو النبى الوحيد الذى ظهر بعد موسى وينطبق عليه الوصف أنه « مثل موسى » تماماً ، وذلك لأسباب كثيرة من بينها ما نذكره بعد مسلسلاً من المنشأ إلى نهاية الحياة الدنيوية لكل من هذين النبيين العظيمين :

١ - يُنسب موسى إلى أبيه عمرام بن قهات بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، وكانت أمه يوكابد بنت لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، وبهذا يلتقى أبيه مع أُمه فى الجد الأول لأبيه . ونلاحظ أن صلة الأب بذلك الجد أبعد من صلة الأم به بمقدار جيل واحد ..

ويُنسب محمد إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَىٍّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وكانت أُمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى .. إلخ .

وبهذا يلتقى أبوه مع أمه فى الجد الرابع لأبيه . ونلاحظ كذلك أن صلة الأب بذلك الجد أبعد من صلة الأُم به بمقدار جيل واحد ..

وغنى عن البيان أن كليهما قد حُمِلَ به ووُلِدَ ولادة طبيعية .

٢ - جاء موسى من بيت اختُص بالخدمة الدينية وهم بنو لاوى ، فقد « أفرز الرب سِبط لاوى ليحملوا تابوت عهد الرب ولكى يقفوا أمام الرب ليخدموه ويباروا باسمه » (تثنية ١٠ : ٨) .

وكذلك جاء محمد من بيت اختُص بالخدمة الدينية ، فقد كان بنو عبد مناف يلون الرِفادة والسِقاية ، وهما تقديم الطعام لحجاج البيت الحرام وتقديم الماء العذب لهم .

٣ - وكان موسى راعى غنم قبل رسالته ، وكذلك كان محمد راعى غنم قبل رسالته .

٤ - وقد تزوج موسى قبل رسالته وكانت له ذُرِّية : « أخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر » (خروج ٤ : ٢٠) .

ولقد حدثت هذه العودة بعد الرسالة .

وكذلك تزوج محمد قبل رسالته ، وعمره آنذاك ٢٥ عاماً ، وكانت له ذُرِّية من خديجة بنت خويلد التى كان عمرها آنذاك ٤٠ عاماً .

*

٥ - وكلاهما عدَّد زوجاته بعد الرسالة ، فقد تزوج موسى مرة أخرى من امرأة سمراء أعجبته فتعرَّض من جَرَّاء ذلك للنقد والسخرية ، لكن اللّه - سبحانه - تكفل بالدفاع عنه . فلقد « تكلمت مريم (أُخته) وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية فقالا : هل كلّم الرب موسى وحده . ألم يكلِّمنا نحن أيضاً ؟

فسمع الرب . وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض .

فقال الرب حالاً لموسى وهارون ومريم : اخرجوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع ، فخرجوا هم الثلاثة .. ودعا موسى وهارون فخرجا كلاهما . فقال (الرب) : اسمعا كلامى .

إن كان منكم نبى للرب فبالرؤيا أستعلن له .. وأما عبدى موسى فليس هكذا، بل هو أمين فى كل بيتى .. فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى ؟

فحمى غضب الرب عليهما .. وإذا مريم برصاء كالثلج .. فقال هارون لموسى : أسألك ياسيدى لا تجعل علينا الخطية التى حمقنا وأخطأنا بها .. فصرخ موسى إلى الرب قائلاً : اللّهم اشفها . فقال الرب لموسى : تُحجز سبعة أيام وبعد ذلك ترجع » (العدد ١٢ : ١ - ١٤) .

*

وكذلك عدَّد محمد زوجاته بعد الرسالة بَيْدَ أن هنا وقفة لا بد منها :

لقد بُعثَ الرسول وعمره ٤٠ عاماً ، وكان زوجته الوحيدة خديجة عمرها آنذاك ٥٥ عاماً . واستمرت هى الزوجة الوحيدة فى حياة الرسول حتى توفيت بعد الرسالة بنحو ١٢ عاماً فكان عمر الرسول آنذاك ٥٢ سنة ، وكان عمرها حين توفيت ٦٧ عاماً ، إذ لم يتزوج الرسول ثانية إلَّا بعد وفاة هذه السيدة الفاضلة العجوز ، والتى قضى معها ٢٧ عاماً فى حياة زوجية مستقرة ، استغرقت كل شبابه وجزءاً من مشيبه .

ثم كانت الزوجة الثانية فى حياة الرسول - والأولى بعد وفاة خديجة - هى سَوَدة بنت زمعة ، أرملة السكران بن عمرو بن عبد شمس . ولم تُعرف سَوَدة بالجمال أو الثروة أو المكانة بما يجعل لمطمع من مطامع الدنيا أثراً فى زواجه منها . إنما كانت سَوَدة زوجة لرجل من السابقين إلى الإسلام الذين احتملوا فى

سبيله الأذى والذين هاجروا إلى الحبشة بعد أن أمرهم النبى بالهجرة إليها . وقد أسلمت سَوْدة وهاجرت معه وعانت من المشاق ما عانى ولقيت من الأذى ما لقى . ولما طال المكث على السكران فى أرض الحبشة ، ظن أن الأمور ربما تكون قد تحوَّلت إلى جانب المسلمين ، فعاد بها إلى أرض العرب ، إلا أنه مات عقيب وصوله وترك زوجته مهيضة الجناح .

وهنا يقول الدكتور نظمى لوقا : « كان الموقف عصيباً ، فالمسلمون والمسلمات فى ذلك العهد قليل عددهم .. والتنكيل بهم على أشده بعد أن مات أبو طالب عم الرسول حتى اجترأ المجترئون على إيذائه ايذاءً بدنياً عنيفاً ، بعد أن كان جل إيذائهم من قبل باللسان والإشارة .

وإذا كان هذا حال الرسول ، فكيف يكون حال مَن دونه من أتباعه ؟ كيف يكون حال امرأة فقدت زوجها ولا نصير لها ؟

محنة اهتزت لها قلوب المؤمنين وشغلت بالهم ، وكان التكافل هو الواجب الأول والخاطر فى كل ذهن . من الواجب أن يضم رجل مسلم مثل هذه الأرملة المهدَّدة فى دينها المطعونة فى طمأنينتها .. والتعدد ليس سُنَّة مستحدَثة فى العرب ، بل ذلك حالهم منذ قديم ..

فهل كان محمد ، إذا ارتضى الزواج ، الرجل الذى يتخلى عن هذه المسكينة فيُعَرِّضها للقهر والشماتة ؟ معاذ النخوة !

ليتزوجها إذن ! لتكون مدبرة لبيته ومربية لابنته ، لا لتكون متعة حس ولذَّة مضجع ..

وإن هى إلا سنوات قلائل حتى أحست هذه العجوز الطيبة القلب أنها عبء على كرم زوجها وبره ، فاسأذنته أن تظل فى بيته وتعفيه من حقوق الزوجية .. وبقيت هناك تُصَلِّى وتصوم وتتصدق ، زوجة شرف لا أكثر ، وما كانت تصلح من الزواج إلا لهذا ، وما صلحت لهذا إلا لنخوة فى ذلك الرجل .. هذا هو أول

حظه من النساء بعد وفاة خديجة ، وما هو بحظ الملهوف على لذّات الفراش بعد طول مصابرة ومصانعة » [1] .

واستمر الدكتور نظمى لوقا فى بيان دوافع تعدد زوجات الرسول وظروف كل حالة على حدة وكانت خلاصة قوله :

« هؤلاء زوجاته اللواتى بنى بهن وجمع بينهن . لم تكن واحدة منهن هدف اشتهاء كما يزعمون . وما من واحدة منهن إلا كان زواجه بها أدخل فى باب الرحمة وإقامة العثار والمواساة الكريمة ، أو لكسب مودّة القبائل وتأليف قلوبها بالمصاهرة ، وهي بعد حديثة عهد بالدين الجديد .

هى ضريبة واجب إذن . وما كان من الهَيِّن على رسول قائد جيش وحاكم دولة محاربة أن يزيد أعباءه بما يكون فى بيت كثير النساء من خلافات على صغائر الأمور ...

ولكنه الواجب . واجب الدعوة أو واجب النخوة » [2] .

لقد عَدَّدَ كل من موسى ومحمد زوجاته ولا حَرَج عليه فمن قبل عَدَّدَ الأنبياء ، وعلى رأسهم أبوهم إبراهيم ، الذى تزوج هاجر ومعه زوجه الأولي سارة . وبعد موت سارة « عاد إبراهيم ، فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له (٦ أبناء) .. وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم فأعطاهم وصرفهم .. شرقاً » (تكوين ٢٥ : ١ ، ٦) . لقد عَدَّدَ إبراهيم الزوجات والسرارى وكانت له منهن ذُرِّية .

وكذلك عَدَّدَ يعقوب زوجاته ، فقد تزوج الأختين ليئة وراحيل كما تزوج جاريتيهما بلهة وزلفة ، فجمع أربعاً فى وقت واحد ، وجاء منهن بنو إسرائيل .

وعَدَّدَ داود زوجاته فقد « أخذ داود نساءً أيضاً فى أورشليم وولد أيضاً داود بنين وبنات » (أخبار الأيام الأول ١٤ : ٣) .

---

(١) محمد فى حياته الخاصة ، ص ٧٠ - ٧٢

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٠ - ١١١

وكانت له أخينوعم اليزرعيلية وأبيجايل امرأة نابال الكرملى ومعكه بنت تلماى وحجيث وأبيضال وعجلة ، وميكال بنت شاول .

وأما عن سليمان فحَدِّث ولا حَرَج إذ تقول الأسفار : « وأحب الملك سليمان نساءً غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم ، لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبع مئة (٧٠٠) !! من النساء السيدات وثلاث مئة (٣٠٠) !! من السرارى فأمالت نساؤه قلبه » (الملوك الأول ١١ : ١ - ٣) .

الحق .. إن الذين يمارون فى تَعَدُّدْ الزوجات إما جهلة وإما منافقون.

وبعد هذه الوقفة التى جاءت فى مكانها للحديث عن تَعَدُّد الزوجات نعود لنستكمل أوجه التشابه بين موسى ومحمد .

*

٦ - كان موسى معافا فى بدنه وعقله ، وظل يتمتع بطاقته العقلية والبدنية حتى توفاه الله . « وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته » (تثنية ٣٤ : ٧) .

وكذلك كان محمد معافا فى بدنه وعقله . ولقد كانت رجاحة عقله سبباً فى منع حرب أهلية كادت تنشب بين قبائل قريش من أجل التسابق على وضع الحجر الأسود فى مكانه من الكعبة بعد إعادة بنائها قبل بعثته . فقد اقترح عليهم أن يأتوه بثوب وضع عليه الحجر وأمسكت كل قبيلة بطرف من الثوب ، فكأنهم حملوه جميعاً إلى ما يحاذى موضع البناء ثم تناوله بيده ووضعه فى مكانه .

وكان محمد قوى البدن وسيم الطلعة أزهر اللون اشتهر فى قومه بالأمانة فعُرِف بينهم منذ نشأته بالأمين . واجتمعت فيه كل صفات الخُلُق العظيم ، كما

اكتملت فيه المهابة وقوة الشخصية التى تلطفها ألفة ولين جانب ، حتى إن الأطفال لتركن إليه وتفرح بمداعبته .

وكان محمد شجاعاً مقداماً ، أول من يُلبّى داعى النصرة ويقتحم مواطن الخطر . يصف علىّ بن أبى طالب - وهو الفدائى المقدام - مواقف الرسول فى الحرب فيقول : « كنا إذا اشتدت الحرب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله ، فما يكون أحدنا أقرب إلى العدو منه » .

ولقد عُرِفَ كل من موسى ومحمد بالطهارة وسلامة الطبع فعافت نفساهما الطاهرتان كل خبيث من مأكل ومشرب فما ذاقا الخمر أو المسكر .

*

٧ - جاء موسى بكتاب من عند الله هو التوراة ، لا يزال يقول الذين أعادوا كتابته بعد أن تعرَّض للضياع والأسر عند الأعداء - ولم يكتمل شرعيته إلا حوالى عام (٤٠٠ ق . م) أى بعد موسى بنحو ٨٠٠ عام - أن ما بين دفتيه هو كلام الله ووحيه . فالحديث عن الوصايا العشر يبدأ هكذا : « ثم تكلّم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً : أنا الرب إلٰهك .. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما » (خروج ٢٠ : ١ - ٤) .

« وقال الرب لموسى : اكتب لنفسك هذه الكلمات .. فكتب على اللّوحين كلمات العهد الكلمات العشر » (خروج ٣٤ : ٢٧ - ٢٨) .

وفى آخر أيام موسى : « عندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم » (تثنية ٣١ : ٢٤ - ٢٦) .

*

وجاء محمد بكتاب من عند الله هو القرآن ، يشهد ما فيه على أنه كلام الله الذى أنزل وحياً إلى الرسول ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِّيٍ مُّبِينٍ ﴾ .

(الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥)

﴿ وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِّياً لِّتُنْذِرَ أُمَّ القُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ، فَرِيقٌ فِى الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ ﴾ .

(الشورى : ٧)

﴿ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ، وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَذَا القُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى ، قُلْ لَّا أَشْهَدُ ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام : ١٩) .

*

وبين التوراة والقرآن ، جاء الإنجيل ، إلا أن ما بين أيدينا من أناجيل أربعة قانونية لم يقل واحد منها إنه كلام الله ، أو إن كاتبه قد كتبه بوحى أو إلهام .

فها هو إنجيل يوحنا الذى كُتِبَ بعد أكثر من ٧٠ عاماً من رفع المسيح والذى يُنسب إلى أحد تلاميذه يقول كاتبه فى خاتمته : « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا . ونعلم أن شهادته حق . وأشياء أُخرى كثيرة صنعها يسوع إن كُتِبَت واحدة واحدة فلستُ أظن أن العالَم نفسه يسع الكتب المكتوبة » .

(يوحنا ٢١ : ٢٤ - ٢٥)

ولا شك أن درجة الدقة هنا يحددها اعتراف الكاتب بأنه لا يظن أن العالَم يسع الكتب التى تحكى معجزات المسيح وأن ما سطره ليس إلا شهادة منه كتبها بجهوده الشخصية ، وكذلك الحال مع بقية أناجيل متى ومرقس ولوقا بل وبقية أسفار العهد الجديد وخاصة رسائل بولس وتلاميذ المسيح والتى سبق أن عرضنا لها فى موضوع الوحى [١] .

*

---

(١) راجع كتاب المؤلف : الوحى والملائكة .

هذا .. وثمة ميزة ينفرد بها محمد النبى المرتقَب وكلام اللّه الذى جاء به كما يتضح من بشارة التوراة [1] : « وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيهم به »

إن هذه النبوءة ينفرد بها محمد خلافاً لكل من موسى والمسيح .

فهى تعنى بوضوح أن كلام اللّه سينطلق من فم هذا النبى إلى مسامع مَن حوله ، أى أن أول عهدهم به سيكون قراءة كلام اللّه عليهم ولا مانع أن يُكتب بعد ذلك . وهذا الأمر خلاف لما كان من أمر موسى والتوراة ، ذلك أن أسفار العهد القديم تقول إن أول نسخة من التوراة جاءت مكتوبة بأمر اللّه : « فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده . لوحان مكتوبان على جانبهما .. اللّوحان هما صنعة اللّه ، والكتابة كتابة اللّه منقوشة على اللّوحين ..

وكان عندما اقترب (موسى) إلى المحلة أنه أبصر العجل (الذى عبده قومه) والرقص فحمى غضب موسى وطرح اللّوحين من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل » (خروج ٣٢ : ١٥ - ١٩) .

ثم أُعيدت كتابة التوراة مرة ثانية هكذا : « قال الرب لموسى : انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين . فأكتب أنا على اللّوحين الكلمات التى كانت على اللّوحين اللذين كسرتهما ..

وقال الرب لموسى : اكتب لنفسك هذه الكلمات .. وكان (موسى) هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة . فكتب على اللّوحين كلمات العهد ، الكلمات العشر » (خروج ٣٤ : ١ - ٢٨) .

وقرب نهاية موسى « كتب موسى هذه التوراة وسلّمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل » (تثنية ٣١ : ٩) .

لقد كان موسى يعرف القراءة والكتابة ، بل إنه كان مثقفاً دَرَسَ فى جامعة عين شمس القديمة ، « فتهذب موسى بكل حكمة المصريين » .

---

(١) راجع ص ١١٧

وكذلك كان المسيح مثقفاً دَرَسَ الأسفار المقدسة وتتلمذ على طائفة اليهود الأسينيين . ففى بدء رسالته « دخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ . فدفع إليه سِفر أشعياء النبى . ولما فتح السِفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه : روح الرب علىَّ لأنه مسحنى لأُبشِّر المساكين .. وطوى السِفر وسلَّمه إلى الخادم .. فابتدأ يقول لهم : إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم » .

(لوقا ٤ : ١٦ - ٢١)

مما سبق نتبين أن كلام اللّه الذى يجعله فى فم النبى المرتقَب هو ما يقرأه على الناس شفاهاً بأنه القرآن الذى جاء به ، وكان فيه : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ - ٤) .

*

٨ - وكما نعلم جميعاً فقد كان كل من موسى ومحمد « رجل حرب » قاد أتباعه فى معارك شرسة ضد الكفار وعبَّاد الأوثان ، وذاقت قوات كل منهما النصر ، كما تعرَّضت للهزيمة .

ويجب أن نذكر أن « رجل الحرب » فى الكتاب المقدس ، صفة من صفات اللّه .

فها هو موسى يُعَظِّم ربه بعد غرق فرعون وجنوده ويقول : « الرب قوَّتى ونشيدى .. هذا إلهى فأُمجده ..

الرب رجل الحرب . الرب اسمه » (خروج ١٥ : ٢ - ٣) .

٩ - ولقد تلقى موسى الرسالة الإلهية وعمره ٨٠ عاماً : « وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلَّما فرعون » (خروج ٧ : ٧)

وكما علمنا فقد توفى موسى عن ١٢٠ عاماً ، أى أن فترة رسالة موسى بلغت ثلث عمره . .

كذلك بُعِثَ محمد وعمره ٤٠ عاماً وتوفى عن ٦٣ عاماً أى أن فترة رسالته بلغت ثلث عمره أيضاً .

. ١ - وأخيراً - وليس آخراً - فقد مات كل منهما ميتة طبيعية ولم يتعرّض فيها لقتل أو تعذيب ، إنما مات رضيّ النفس فى حضن أهله وعشيرته وأتباعه .

* *

(ب) ثم كانت هناك بشارة أخرى لاتزال تذكرها التوراة تتعلق بالإسلام ونبيه وشريعته ، وفتح مكة ودخوله ظافراً على رأس جيش من صحابته الأبرار : . . . ١ من القديسين ، كما تقول التوراة .

فهذه نبوءة موسى فيهم وفى نبيهم - محمد رسول الله - تقول ، حسب ترجمة البروتستانت :

« جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من **جبل فاران** .

وأتى من **ربوات القدس** وعن يمينه نار شريعة لهم .

فأحَبَّ الشعب . **جميع قديسيه فى يدك** ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك » (تثنية ٣٣ : ٢ - ٣) .

وإذا رجعنا إلى **نسخة الملك چيمس** نجد ترجمة الفقرة التى تتحدث عن « **ربوات القدس** » وما بعدها تعطينا صورة أوضح ، إذ تقول : « **وجاء مع عشرة آلاف (. . . ر.١) من القديسين** . ومن يمينه خرجت شريعة ملتهبة لهم » [١] .

أما العبارة التى تقول : « **أحب الشعب** » ، فنجدها فى التراجم الفرنسية تتكلم عن حب الله للشعوب ، أى للناس أجمعين ، وليس شعباً واحداً ، التى جرت العادة ، فى مثل تلك الحال ، أن يُفهم أنه الشعب الإسرائيلى ، فالفرق كبير بين هذا وذاك . فهذه التراجم تقول : « **أجل ، إنه يحب الشعوب** » [٢] .

---

(١) < and he came with ten thousands of saints : from his right hand went a fiery law for them > .

(٢) < Oui, il aime les peuples > . (L. s.) .

وأما قولهم : « **يقبلون من أقوالك** » ، فهى فى نسخة الملك چيمس : « وكل واحد سيتلقى من أقوالك » .

وهناك إجماع بين التراجم على أن هذه الفقرة من سفر التثنية ، لها علاقة بفقرة أخرى من سفر حبقوق (٣ : ٣) ، سنتعرض لها فيما بعد .

والآن ننظر فى هذه النبوءة ، كما جاءت في سفر التثنية مع الأخذ فى الاعتبار ما تقوله مختلف التراجم ، نجد أن :

مجىء الرب من سيناء يشير إلى رسالة موسى ، حيث ناداه الله فى البقعة المقدسة .

وإشراق الرب من سعير ، يشير إلى رسالة المسيح عيسى ، حيث تمتد سعير جنوب البحر الميت ، شرق فلسطين ، وحيث اعتزل المسيح نحو ١٨ عاماً مع طائفة من أهل التقوى والورع يُعرفون باسم : الأسينيين .

وأما تلألؤ الرب من جبل فاران ، فهو إشارة إلى رسالة محمد الذى جاء من ذُرِّية إسماعيل بن إبراهيم . فلقد سكن إسماعيل فى « برية فاران » .

(تكوين ٢١: ٢١)

وكان « **بنو إسماعيل : اثنا عشر رئيساً ، حسب قبائلهم .. وسكنوا من حويلة إلى شور التى أمام مصر** » (تكوين ٢٥ : ١٦ - ١٨) .

هذا .. ولقد دخل محمد مكة فى السنة الثامنة من الهجرة فى ... ر.١ من **أصحابه ، القديسين** كما تقول نبوءة موسى . دخلوها بسلام لهم ولأهلها . فلما دخل المسجد الحرام طاف بالكعبة وسجد لله شاكراً ، ثم دعا القرشيين وقال لهم : « يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم » ؟

قالوا : خيراً . أخٌ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : « **فاذهبوا ، فأنتم الطُلَقاء** » .

ثم أتم رسول الله فى أول يوم لفتح مكة ، ما استمر يدعو إليه طيلة ٢٠ سنة ، وما حاربته مكة بصناديدها أشد الحرب فيه . فقد طَهَّرَ المسجد الحرام من الأصنام وقضى تماماً على الوثنية .

هذا .. ونجد إشارة أخرى إلى جبل فاران ، جاءت فى نبوءة حبقوق التى أشارت إليها مختلف التراجم ، كما ذكرنا سَلَفاً . فهى تقول : « **الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران** . سلاه .

جلاله غطَّى السمٰوات . والأرض امتلأت من تسبيحه » (حبقوق : ٣ : ٣) .

إن المسلمين هم الوحيدون بين المؤمنين بالله ورسالاته ، الذين يملأون الأرض تسبيحاً ، خمس مرات على الأقل كل يوم فى الأذان للصلاة ، حيث يهتفون قائلين : **الله أكبر** . ثم يعلنون شهادة الحق الكبرى وهى : **لا إله إلَّا الله** .

وان مكة لهى المدينة المقدسة الوحيدة التى قضى الله - جلت حكمته - ألا يدخلها مشرك نجس . فوجب على المسلمين أن يحافظوا على طهارتها هذه ، فذاك قضاء الله فى كتب النبيين ، كما هتف به أشعياء الذى جاء بعد موسى بستة قرون ، فقال نبوءة عن **البرية** ، بلاد العرب المقفرة الجدباء ، جاء فيها : « **تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر** ويزهر كالنرجس .. هو ذا إلهكم . الانتقام يأتى . جزاء الله .. **وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة لا يعبر فيها نجس بل هى لهم** » (أشعياء ٣٥ : ١ - ٨) .

ولقد كان قضاء الله فى القرآن العظيم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (التوبة : ٢٨) .

حقاً .. لقد عوَّض الله رسوله بصحابة عظام ، قادهم فى جيش من . . . ر.١ **قديس** ، كان كل منهم - كما تقول نبوءة التوراة - « **يجلس عند قدمى النبى يتلقى من أقواله** » .

*

٢ - بشارة المزامير :

ثم كانت نبوءات المزامير عن ذلك النبى المرتقَب ، ومنها : [١]

(أ) أنه وسيم الخِلْقة حسن المنظر : « أنت أبرع جمالاً من بنى البَشر » .

(ب) رجل حرب من أجل الحق ، يحالفه النصر : « **تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار .. اركب من أجل الحق والدعة ، والبر ، فتريك يمينك مخاوف . شعوب تحتك يسقطون ، بنات ملوك بين حظيَّاتك** » ..

لقد كان محمد نبى الإسلام صاحب هذه الصفات وصاحب هذه الأحداث .. وفى إحدى الغزوات كانت جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق من السبايا ، ففكَّ النبى أسارها وتزوجها فلما بلغ الخبر الناس أطلقوا مَن بأيديهم من أسرى بنى المصطلق إكراماً لمصاهرة رسول الله إياهم حتى لكانت عائشة تقول عن جويرية : « ما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها » .

(جـ) كذلك عُرِفَ عن محمد نبى الإسلام أنه لم يُشتهر بسلسلة نسب تضم فى الاباء كثيراً من الملوك وإن كانت قد ضمت رؤساء قبائل سادة موقَرين فى أقوامهم ابتداءً من أبناء إسماعيل الذين كانوا رؤساء قبائل كبيرة [٢] حتى جده قُصَىّ الذى اجتمع له أمر مكة فى منتصف القرن الخامس الميلادى ممثلاً فى الحجابة والسِقاية والرِفادة والندوة واللواء والقيادة .

ولكن الله - جلَّت حكمته - عوَّضه عن ذلك النسب الأبوى بنسب ولدى فقد خرجت منه ذُرِّية وكان له نسب انتشر فى الأرض ، وكان أولئكم « **أهل البيت** » النبوى محل تقدير وتعظيم عبر العصور . وفى هذا يقول المزمور :

---

(١) انظر المزمور : ٤٥ .

(٢) تقول التوراة : « هذه أسماء بنى إسماعيل حسب مواليدهم : نبايوت بكر إسماعيل ، وقيدار ، وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيش ، وقدمه .
هؤلاء هم بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم . اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم .. سكنوا من حويلة إلى شور التى أمام مصر حينما تجىء نحو أشور » .
(تكوين ٢٥ : ١٣ - ١٨)

« **عوضاً عن آبائك يكون بنوك تقيمهم رؤساء فى كل الأرض** » .

لقد مات النبى ودرعه مرهونة عند يهودى ، فلم يُورِّث مالاً ، ولا مُلكاً ، وإنما وَرَّثَ علماً وحكمة ومودّة ورحمة . وترك النبى ذُرِّيةً ونسباً وصهراً .

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ ﴾ (الشورى : ٢٣)

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

(الأحزاب :٣٣)

* *

٣ - بشارة أشعياء :

ثم كانت نبوءات أشعياء [١] ، وفيها عن هذا النبى :

(أ) اشتهر بأنه عبد الله ورسوله : « **هو ذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سُرَّت به نفسى . وضعتُ روحى عليه فيُخرج الحق للأمم** » .

وقد اشتهر محمد نبى الإسلام بأنه عبد الله ورسوله كما اشتهر بذلك عباد الله المكرَّمون من الأنبياء والمرسلين . يقول القرآن الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ٢١) .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة : ٢٣)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجَا ﴾ .

(الكهف :١)

---

(١) انظر على وجه الخصوص الإصحاح ٤٢

(ب) يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده ، لا من بعده : « **لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته** » .

ولقد وعد الله نبى الإسلام أن يتم الأمر الذى جاء به ، فقال :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (التوبة : ٣٢) .

ولقد أكمل الله الدين فى حياة النبى حتى إذا توفاه الله ترك الأمة الإسلامية على المحجة البيضاء ليلها كنهارها . لقد اكتمل الدين ونزل القرآن يقول :

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾. (المائدة : ٣)

(جـ) يعصمه الله من الناس حتى يُكمل رسالته : « **أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم** » .

ولقد طمأن الله نبى الإسلام ألا يلتفت إلى مؤامرات الكائدين له ، فالله عاصمه من الناس حتى يبلغ الأمر غايته . ولقد نزل القرآن ليُعلن هذا التحدى على رؤوس الأشهاد :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة ٦٧) .

(د) ينتسب النبى إلى إسماعيل بن إبراهيم : « **لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار** » . وقيدار هذا هو الابن الثانى لإسماعيل . (تكوين ٢٥ : ١٣)

(هـ) أعداؤه المنهزمون عبدة أوثان ، أصحاب أصنام : « **يخزى خزياً المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا** » :

(و) رجل حروب مقدام ينتصر على أعدائه : « **الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه** » .

ولقد سجل القرآن المعارك الكبرى فى الإسلام وكان النبى هو القائد والمخطِّط والمحارب حين البأس :

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران : ١٢١) .

﴿ فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾.
(النساء : ٨٤)

إن هذا أمر اختص به أولو العزم من الأنبياء والمجاهدين . ولقد كان ذلك أمر موسى بعد أن خرج ببنى إسرائيل من مصر ، وانتهت مرحلة فى جهاده وبدأت مرحلة أخرى ، فآنذاك « كلّم الرب موسى فى برية سيناء .. فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلاً : أحصوا كل جماعة بنى إسرائيل ..

من ابن عشرين سنة فصاعداً ، كل خارج للحرب فى إسرائيل ، تحسبهم أنت وهارون حسب أجنادهم ويكون معكما رجل لكل سبط ، هو رأس لبيت آبائه » .

(ز) فى دينه هتاف من رءوس الجبال وتسبيح وتكبير : « **من رءوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا للرب مجداً ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر** ».

لقد بُنِىَ الإسلام على خمسة أعمدة خامسها الحج ، وفيه يُعقد أكبر مؤتمر دينى عالمى سنوياً بجبل عرفات ، وقد جُعلت الوقفة بهذا الجبل ركن الحج الركين ، إذ قال نبى الإسلام : « الحج عرفة » . فهناك يهتف الحُجّاج لله ويُسَبِّحون ويُكَبِّرون ويُهَلِّلون ويتضرعون بالدعوات وصالح العبادات ، وما أعظمه من نُسُك.

وفى الحج - يتجرد الإنسان عن زخرف الحياة ومتعها ، إذ يحرم عليه ممارسة بعض ما اعتاده فى حياته الزوجية الصالحة مثل العلاقة الجنسية ، والتحلى بأفخر الثياب ، وعوامل الصخب والإثارة .

هناك يواجه الإنسان الحقيقة بين يدى خالقه فيأتى هذه التجربة العظيمة طوعاً فى الدنيا قبل أن يأتيها كرهاً فى الآخرة ، فآنذاك لا ينفع الندم ولا تجدى الحسرات .

﴿ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ، فَمَنْ فَرَضَ فيهنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الحَجِّ ، وَمَا تَفْعَلُواْ منْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ، وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ، وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الأَلْبَابِ *

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ ، فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (البقرة : ١٩٧ - ١٩٨) .

(ح) الشعب الذى ظهر فيه كان متخلفاً ضعيفاً طُعمة لكل آكل : « **شعب منهوب ومسلوب ، وقد اصطيد فى الحفر كله وفى بيوت الحبوس اختبأوا . صاروا نهباً ، ولا منقذ . وسلباً ، وليس من يقول رد** » .

ويقول القرآن : ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً منْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُواْ منْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ منْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ، وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾ (الجمعة : ٢ - ٤) .

(ط) ولكن بعد أن جاءهم النبى خرجوا من الظلمات إلى النور : « **لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمة .**

أُسَيِّرُ العُمْىَ فى طريق لم يعرفوها ، فى مسالك لم يدروها أَمْشِيهم . أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة . هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم » .

ويقول القرآن : ﴿ آلر ، كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ منَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) .

﴿ فَاتَّقُواْ اللَّهَ يَا أُولِى الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُواْ ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ منَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (الطلاق . ١ - ١١) .

إن تجربة الإسلام فى عرب الجزيرة العربية نموذج فريد فى التاريخ . وأذكر فى هذا المقام مقالة للمؤرخ الإنجليزى **أرنولد توينبى** قال فيها : لكى ندرك ما فعله الإسلام بالعرب - بمقاييس العصر - نتصور دولة فى حجم كوبا تظهر فجأة ، ثم تستولى على نصف الولايات المتحدة الأمريكية وتخضع لها روسيا بأكملها .

ومن الواضح أن توينبى ضرب المثل بهاتين الدولتين الكبيرتين باعتبارهما القوتين الأعظم فى النصف الثانى من القرن العشرين ، ويناظرهما فى القرن السابع الميلادى : الإمبراطورية الرومانية ، والإمبراطورية الفارسية على الترتيب.

(ى) هو نبى البِرّ الذى يُعَظِّم شريعة الله : « **الرب قد سُرّ من أجل بِرّهُ ، يُعَظِّم الشريعة ويكرمها** » .

إن بر نبى الإسلام ورحمته بالناس جميعاً أمر يشهد به الجميع حتى من غير المسلمين ، ومنهم عتاة تطاولوا على الإسلام ونبيه . ولقد حدث أن مرت جنازة يهودى فوقف النبى تكريماً للإخوة الإنسانية ، فإذا ببعض الصحابة يقول له : إنها ليهودى - وقد علم ما أصاب النبى والمسلمين من أذى على يد اليهود تمثّل فى مؤمرات وفتن وحرب نفسية وحروب دموية - فأمسك عليه النبى اعتراضه قائلاً : « أليست نَفْساً » ؟!

صدق القرآن : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

* * *

ثانياً - بشارات العهد الجديد

١ - « النبى » المرتَقَب :

ظهر يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) نبياً فى اليهود فى مطلع القرن الأول من الميلاد ليبشّر بالمسيح - قريبه الذى وُلِدَ معه فى نفس العام - ويُمَهِّد له الطريق .

وعند ما ظهر يوحنا كان اليهود يعلمون يقيناً من نبوءات كتبهم أنه لا يزال هناك فى عالَم الأنبياء ثلاثة لم يظهروا بعد ولذلك أرسلوا إليه يسألونه .

« وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم ، كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟

فاعترف ولم ينكر وأقر : إنى لست أنا المسيح .

فسألوه : إذاً ماذا ؟ إيليا أنت ؟

فقال : لستُ أنا .

- النبى أنت ؟

فأجاب : لا .

فقالوا له : ماذا تقول عن نفسك ؟

قال : أنا صوت صارخ فى البرية . قوِّموا طريق الرب كما قال أشعياء النبى ..

فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد إن كنت لستَ المسيح ولا إيليا ولا النبى ؟

أجابهم يوحنا قائلاً : أنا أُعَمِّد بماء ، ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه .. الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه » (يوحنا ١ : ١٩ -٢٧) .

من الواضح إذن أن لكل واحد من الثلاثة الذين كان ينتظرهم اليهود اسماً يُعرف به ، وأن أسماء أولئك الثلاثة هى : إيليا - والمسيح - والنبى .

ومن الواضح كذلك أن النبى المرتقَب هو آخر الثلاثة ظهوراً ، أى يأتى بعد إيليا والمسيح وذلك لكونه آخر مَن سأل عنه اليهود يوحنا المعمدان .

ولما كان اليهود قد اشتُهِروا بظهور الأنبياء فيهم ، فإن تسمية هذا النبى المرتقَب الأخير باسم « النبى » يعنى ولا شك أنه نبى ولكنه ليس ككل الأنبياء . إنه نبى أمره جلل ونبأه عظيم . إنه نبى الزمان أو هو « النبى » المرتقَب .

*

وحتى بعد ظهور « المسيح » استمر اليهود يخلطون بينه وبين « النبى » المرتقب فقد حدث « فى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً : إن عطش أحد فليقبل إلىَّ ويشرب .. فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام ، قالوا : **هذا بالحقيقة هو النبى** .

وآخرون قالوا : هذا هو المسيح .. فحدث انشقاق فى الجمع لسببه » .

(يوحنا ٧ : ٣٧ - ٤٣)

*

لقد ظهر النبى إيليا (إلياس) فى بنى إسرائيل فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ، وإيليا هذا - انتهت حياته برفعه إلى السماء حياً .

ولقد استمر اليهود حتى ميلاد المسيح ينتظرون إيليا أو ظهور نبى يتقدم إليهم بروح إيليا .

ولقد كانت بشارة الملاك للنبى زكريا أنه سيُرزق بابن اسمه يحيى (يوحنا) يتقدم بروح إيليا ، إذ قال له الملاك :

« وخمراً ومسكراً لا يشرب . ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس .. ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم .

ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته » (لوقا ١٥ : ١٣ - ١٧) .

ولقد عَلَّم المسيح مَن حوله أن إيليا المنتظر قد جاء فى شخص يوحنا بن زكريا فقد « ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا .. ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبياً ؟

نعم أقول لكم وأفضل من نبى ..

الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ..

إن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمَع أن يأتى » .

(متى ١١ : ٧- ١٤)

ومرة أخرى « سأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة : إن إيليا ينبغى أن يأتى أولاً (قبل المسيح) .

فأجاب يسوع وقال لهم : إن إيليا يأتى ويرد كل شىء **ولكنى أقول لكم : إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا كل ما أرادوا ..**

حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » .

(متى ١٧ : ١٠ - ١٣)

*

والذى عملوه فى يوحنا المعمدان أن حاكماً فاجراً يدعى هيرودس قطع رأسه وقدّمه على طبق إرضاءً لراقصة فاجرة جزاء تنديده بعلاقة هيرودس بامرأة أخيه المدعوة هيروديا .

*

وخلاصة القول الذى لا جدال فيه : إن نبوءات الأنبياء السابقين ومعتقدات الجيل المعاصر للمسيح كانت تقرر يقيناً إنتظار ثلاثة مشهورين فى عالَم الأنبياء هم على الترتيب : إيليا ، ثم المسيح ، ثم النبى .

ولقد قرر المسيح صراحة أن إيليا قد جاء فى شخص يوحنا المعمدان ومن المعتقد بين المسيحيين والمسلمين - أن المسيح قد جاء فى القرن الأول من الميلاد.

لم يبق - إذن - بعد المسيح إلا أن يأتى « النبى » المرتقب ، النبى الذى يكتمل به الزمان ، وفى مجيئه يأتى «ملكوت السموات ».

* *

ويذكر التاريخ أن محمداً نبى الإسلام قد أرسل كتباً إلى الملوك والحكّام من الجيران يدعوهم فيها إلى الإسلام منهم : كِسرى ملك فارس وهِرَقل إمبراطور الروم والنجاشى ملك الحبشة والمقوقس الزعيم الدينى لأقباط مصر التى كانت آنذاك تحت حكم الروم . وقد جاء فى رد المقوقس : « سلام عليك - أما بعد :

فقد قرأتُ كتابك وفهمتُ ما ذكرتَ فيه وما تدعو إليه . وقد علمتُ أن نبياً بقى وكنتُ أظن أنه يخرج بالشام . وقد أكرمتُ رسولك » ، وقد بعث إليه بجاريتين هما مارية وسيرين . وقد عُرِفت الأولى باسم مارية القبطية التى تزوجها النبى وولدت له إبراهيم ، أما سيرين فقد تزوجها حسان بن ثابت .

ولا شك أن التمحيص التاريخى لكتاب المقوقس يقرر صحته لسببين على الأقل :

أحدهما : أن إرسال مارية إلى النبى باعتبارها رداً كريماً على كتابه إلى المقوقس ثم زواج النبى منها ، وولادتها إبراهيم ، ثم موته طفلاً وحزن النبى عليه وحديثه الشهير فى رثائه ثم مقالة بعض المسلمين حين وافق موت إبراهيم كسوف الشمس فحسبوا ذلك معجزة وما كان من رد النبى عليهم حين قال قولته الخالدة : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه ، لا تُخسفَان لموت أحد ولا لحياته » - كل ذلك حقائق تاريخية مُسَلَّم بها .

وأما الثانى : فهو قول المؤرخين المسلمين بأن المقوقس لم يُسْلِم على الرغم من رده المهذب ، فإن هذا يعنى تحريهم الدقة فيما كتبوه وكان بوسعهم إدعاء خلاف ذلك بعد أن انتشر الإسلام وساد .

بعد ذلك نقول : إن قول المقوقس فى رسالته : « قد علمتُ أن نبياً بقى » فهو يتفق وما فى الأناجيل حتى اليوم . وأما قوله : « وكنتُ أظنُ أنه يخرج بالشام ». فإنه يعنى بوضوح أن توقع خروجه من الشام أو فلسطين مثلاً لا يعدو كونه مسألة ظنية ، بدليل قوله : « كنتُ أظنُ » . وهو قد توقع خروجه بالشام لأن الشائع أن أنبياء كثيرين ظهروا فى تلك البقعة من الأرض ، فمن المتوقع - قياساً على ذلك - أن يظهر النبى المرتقَب فيها أيضاً .

بَيْدَ أن قول المسيح الذى قذف به فى وجه رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود فى لقائه الغاضب بهم : « أقول لكم : إن ملكوت اللّه يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) - إن هذا القول يعنى بوضوح وبساطة أن عهد خروج الأنبياء فى تلك البقعة قد انتهى ، لأن رسالة اللّه قد نُزِعَت من تلك

الأمة اليهودية العاصية ، ثم تفضّل الله بها على أمة أخرى يشهد المسيح أنها ستكون جديرة بها .

* *

٢ - « الملكوت » المقترب :

عندما ظهر يوحنا المعمدان كنبى « كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامة جراداً وعسلاً برياً ..

(وكان) يكرز فى برية اليهودية قائلاً : **توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات** » (متى ٣ : ٣ - ٤) .

ولما « سمع يسوع أن يوحنا أُسلم ، انصرف إلى الجليل وترك الناصرة .

من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يُكَرِّز ويقول : **توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات** » (متى ٤ : ١٢ - ١٧) .

« وكان يسوع يطوف كل الجليل يُعَلِّم فى مجامعهم ويُكَرِّز **ببشارة الملكوت** ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » (متى ٤ : ٢٣) .

« ثم دعا (المسيح) تلاميذه الإثنى عشر .. هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا ، إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة .

وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين : **إنه قد اقترب ملكوت السموات** . اشفوا مرضى ، طهروا برصاً .. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا » .

(متى ١٠ : ١ - ٨)

ولقد عَلَّمَ المسيح تلاميذه أن يدعوا فى صلاتهم بأن يأتى ملكوت السموات ، « وإذ كان يُصَلِّى فى موضع ، لما فرغ قال واحد من تلاميذه : عَلِّمنا أن نُصَلِّى كما عَلَّمَ يوحنا (المعمدان) أيضاً تلاميذه .

فقال لهم : متى صليتم فقولوا : أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك **ليأت ملكوتك** . اغفر لنا خطايانا .. ولا تُدخلنا فى تجربة » (لوقا ١١ : ١ - ٤) .

وكانت تلك الصلاة الربانية هى تعليم المسيح فى موعظة الجبل الشهيرة .

(متى ٦ : ٩ - ١٣)

مما سبق نتبين بوضوح أن : يوحنا المعمدان والمسيح ، وتلاميذه جاءوا يبشرون باقتراب ملكوت السموات . ومن البدهى - إذن - أن هذا الملكوت شىء يأتى بعد المسيح .

*

ولقد رأينا أن المسيح تنبأ للإسرائيليين بانتزاع الملكوت منهم ، فقال لهم : « إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأُمة تعمل أثماره » .

ومن ثَمَّ نتبين أن ملكوت الله الذى كان فى بنى إسرائيل ثم نُزِعَ منهم لم يكن سوى النبوَّة وما يرتبط بها من وحى ورسالة وكتب سماوية .

وأن المسيح حين تنبأ بنزعه منهم فإنه تنبأ كذلك بإعطائه لأُمة أُخرى تكون أفضل من تلك الأُمة الإسرائيلية التى وُصِفَت منذ عهدها المبكر فى توراة موسى بأنها : « أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم » (تثنية ٣٢ : ٢٨) .

وعندما جاء يوحنا المعمدان يُمَهِّد للمسيح كان قوله للإسرائيليين : « يا أولاد الأفاعى ، مَن أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً ، لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم » (متى ٣ : ٧ - ٩) .

* *

٣ - الرسول « روح الحق » :

يذكر إنجيل يوحنا نبوءة للمسيح عن الرسول العظيم الآتى بعده تقول فى شأنه الترجمة العربية المعروفة باسم نسخة البروتستانت ما نورده فى فقرات كالتالى :

(أ) « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم **معزياً آخر** ليمكث معكم إلى الأبد . **روح الحق** الذى لا يستطيع العالَم أن

يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » (١٤ : ١٥ - ١٧) .

(ب) « الكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما **المعزى الروح القدس** الذى سيرسله الآب باسمى فهو يُعَلِّمكم كل شىء ويُذكِّركم بكل ما قلته لكم » (١٤ : ٢٤ - ٢٦) .

(جـ) « ومتى جاء **المعزى** الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، **روح الحق** الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى . وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء » (١٥ : ٢٦ - ٢٧) .

(د) « أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم **المعزى** . ولكن إن ذهبت أُرسله إليكم .

ومتى جاء ذاك يُبَكِّت العالَم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى . وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا ترونننى أيضاً . وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالَم قد دين » . (١٦ : ٧ - ١١) .

(هـ) « **إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن .**

وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية ».

(١٦ : ١٢ - ١٣)

*

قبل الشروع فى دراسة هذه النبوءة نلاحظ بادىء ذى بدء أن التراجم المتداولة قد اتفقت على الاسم الثانى لذلك الرسول الآتى بعد المسيح ، فكان :

- فى العربية : روح الحق .
- وفى الإنجليزية : The spirit of truth
- وفى الفرنسية : L'esprit de la vérité

لكن تلك التراجم اختلفت فى اسمه الأول ، فكان :

- فى العربية : المُعَزِّى (نسخة البروتستانت ، والكتاب المقدس للكاثوليك . منشورات دار الشرق) .

وأيضاً : المؤيِّد (العهد الجديد . منشورات دار المشرق) .

- وفى الإنجليزية :

The Comforter (المعزى) { King James Version }

The Counsellor (المحامى . الناصح) { Revised Standard Version }

The Adviser (الناصح) { The Original N. T. }

- وفى الفرنسية :

Le Consolateur (المُعَزِّى) { L . Segond }

Le Paraclet (الباراقليط : كلمة يونانية) { T. O. B. et B. de Jérus }

ولما كانت نبوءة المسيح قد ذكرت أنه سيكون رسولاً يرسله اللّه الذى أرسل المسيح (الفقرتان : أ ، ب) ، كان من المنطق الذى لا يحتمل الجدل أن تكون تسميته المبدئية هى : **الرسول روح الحق** ، وذلك إلى أن يتم التعرف على حقيقة اسمه الأول الذى اختلفوا فيه .

*

إن فهم هذه النبوءة وصدق تأويلها تحكمه مجموعة من الحقائق التى نعرضها فيما يلى :

١- روح الحق إنسان :

ولقد بيَّن يوحنا التلميذ أن روح الحق يُطْلَق على الإنسان الصادق فى القول والعقيدة فقال : « أيها الأحباء ، لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من اللّه ...

نحن من الله فمَن يعرف الله يسمع لنا ، ومَن ليس من الله لا يسمع لنا .

من هذا نعرف : روح الحق ؛ وروح الضلال » .

(رسالة يوحنا الأولى - ٤ : ١ - ٦)

من ذلك يتبين أن اللُّغة الشاعرية التى كتب بها يوحنا التلميذ إنجيله ورسائله ، تعنى أن : **روح الحق هو إنسان صادق ، هو من الله - وأن روح الضلال هو إنسان كاذب ليس من الله فى شىء .**

ولقد أكدت ذلك حاشية **كتاب أُورشليم الفرنسى** (المقدس) فأشارت إلى أن « **روح الحق** » الذى تكلم عنه يوحنا فى رسالته الأولى هنا (٤ : ٦) هو ما سبق أن ذكره فى إنجيله (١٤ : ١٧) .

*

٢- روح الحق غير الروح القدس :

لقد ذكرت نبوءة المسيح اسم : « **روح الحق** » ثلاث مرات وذلك فى الفقرات ٣ : ١ ، جـ ، هـ (١٤ : ١٧ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣) ، بينما استبدل كاتب إنجيل يوحنا هذا الاسم بـ « الروح القدس » مرة واحدة فقط وذلك فى الفقرة ٣ : ب (١٤ : ٢٦) .

لقد عالج الدكتور **موريس بوكاى** هذه المشكلة فى كتابه المعروف باسم : **الكتاب (المقدس) والقرآن والعلم** [١] ، إذ بيَّنت المقارنة مع **مخطوطة سريانية** شهيرة اكتشفت بدير سيناء عام ١٨١٢ أن النص الوارد فى ١٤ : ٢٦ يخلو من كلمة « القدس » أى أنه يتحدث عن « الروح » فقط ، وليس « الروح القدس » وهو ما يعنى أن كلمة « القدس » قد أضيفت بفعل أحد النُسَّاخ .

---

(١) La Bible, Le Coran et la science ، وقد نشرته دار المعارف بالقاهرة تحت عنوان « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » .

يقول موريس بوكاى : « إن أى نقد جاد للنصوص يبدأ بالبحث عن الاختلافات النصية . ويظهر هنا أن ليس فى مجموع المخطوطات المعروفة لإنجيل يوحنا نص آخر مختلف من شأنه أن يغيِّر المعنى سوى تلك الفقرة ١٤ : ٢٦ من المخطوطة السريانية الشهيرة المسماة (Palimseste) . **والفقرة لا تشير هنا إلى الروح القدس وإنما إلى الروح فقط** .. [١] فيما عدا هذه الملاحظة وبعض الاختلافات النحوية التى لا تغير شيئاً من المعنى العام للنص .. وما يهم هو أن المعروض هنا فيما يتعلق بالمعنى الدقيق للفعلين : « يسمع » ، و « يتكلم » . يجب أن يسرى على كل مخطوطات إنجيل يوحنا ، وهذا هو واقع الحال . إن فعل « يسمع entendre » فى الترجمة الفرنسية هو فعل (akouô) باليونانية ، ويعنى استقبال أصوات . وقد أعطى الفعل اليونانى ، على سبيل المثال ، كلمة (acoustique) بالفرنسية ، و (acoustics) بالإنجليزية ، وتعنى علم الأصوات .

وإن فعل « يتكلم parler » فى الترجمة الفرنسية فهو فعل (Laleô) باليونانية ، ومعناه العام إصدار أصوات وخاصة صوت الكلام . ويتكرر هذا الفعل كثيراً فى النص اليونانى للأناجيل وذلك عند الإشارة إلى تصريح خطير للمسيح فى أثناء تبشيره . ويصبح من الواضح إذن أن المقصود بالاتصال بالناس هنا لا يكمن مطلقاً فى إلهام من عمل الروح القدس ، إنما هو اتصال ذو طابع مادى واضح ، وذلك بسبب مفهوم إصدار الأصوات المرتبط بالكلمة اليونانية التى تعرِّفه . إن الفعلين اليونانيين (akouô) و (Laleô) يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصا إلا كائناً يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام ، وبالتالى فمن

---

(١) الترجمة العربية بها خطأ فادح فقد قلبت المعنى رأساً على عقب إذ تقول : « والفقرة لا تشير إلى الروح فقط وإنما إلى الروح القدس » – ص ١٢٧ . بينما النص الفرنسى يقول : « Ici, on ne mentionne pas L,Esprit Saint, mais L,Esprit tout court . » p.108.

كذلك تقول ترجمتها الإنجليزية : « Here, It is not the Holy Spirit that is mentioned, but quite simply the Spirit ». P. 114 .

ولقد بينت هذا الخطأ فى مقال نشر بصحيفة « الشرق الأوسط » بتاريخ ١٩٨٨/٩/٢١

المستحيل تطبيق هذين الفعلين على الروح القدس .. ولكن إذا حذفنا كلمتى « الروح القدس to pneuma to agion » من هذه الجملة فإن نص يوحنا كله يُعَبِّر عن معنى غاية فى الوضوح .. إن ذلك يقودنا بمنتهى المنطق أن نرى فى الباراقليط (Paraclet) الذى ذكره يوحنا كائناً بَشرياً مثل المسيح يتمتع بحاستى السمع والكلام ، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما النص اليونانى ليوحنا بشكل قاطع .

إن وجود كلمتى « الروح القدس » فى النص الذى بين أيدينا اليوم يمكن إرجاعه بسهولة إلى إضافة أُلحقت عمداً فيما بعد ، وقُصِدَ بها تغيير المعنى الأصلى لفقرة تتناقض بإعلانها مجىء نبى بعد المسيح مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التى أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء » (١) .

مما سبق يتبين ضرورة إسقاط كلمتى « الروح القدس » التى حرَّفها قلم الكاتب فى ١٤ : ٢٦ ، واعتبارهما : « روح الحق » التى ذُكِرَت فى تلك النبوءة ثلاث مرات متتاليات .

ويحضرنا فى هذا المقام ما يقوله الوحى إلى النبى إرميا فى هؤلاء المحرِّفين : « كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا . حقاً إنه إلى الكذب حوَّلها قلم الكَتَبة الكاذب » (إرميا ٨ : ٨) .

*

٣ - مجىء الروح القدس غير مرتبط برحيل المسيح :

تقول الفقرة (٣ : د) من النبوءة ، على لسان المسيح : « أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى » (١٦ : ٧) إنها تقرر هنا شيئاً هاماً وهو أن المسيح وذلك الرسول المُعَزِّى لا يجتمعان فى الدنيا معاً ، مما يؤكد مرة أخرى أن المُعَزِّى لا يمكن أن يكون الروح القدس الذى أيَّد المسيح طيلة حياته .

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٢٧ - ١٢٩ مع تصحيح الترجمة .

فمن المعلوم أن الروح القدس ظل يعمل منذ خلق اللّه العالَم وإلى إن جاء المسيح وإلى ما بعد المسيح وإلى أن يرث اللّه الأرض ومَن عليها . وإذا ركزنا على نشاط الروح القدس فى جيل المسيح مع ذكر شىء يسير مما قبله لوجدنا الآتى :

(أ) كان الروح القدس مع داود :

« لأن داود نفسه قال : بالروح القدس قال الرب لربى ... » .

(متى ١٢ : ٣٦)

(ب) بارَكَ الروح القدس كلا من زكريا وامرأته اليصابات ، وأوحى إلى زكريا وإى سمعان التقى : « امتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً : مبارَك الرب إله إسرائيل . وامتلأت اليصابات من الروح القدس ..

وكان رجل فى أُورشليم اسمه سمعان ، وهذا الرجل كان باراً تقياً ... والروح القدس كان عليه وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب » (لوقا ١ : ٦٧ ، ٤ . ، ٢ : ٢٥ - ٢٦) .

(جـ) بارَكَ الروح القدس يحيى وهو فى بطن أُمه :

« قال له الملاك : لا تخف يا زكريا .. ستلد لك ابناً وتسمية يوحنا .. ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لوقا ١ : ١٣ - ١٥) .

(د) كان الروح القدس هو المسئول عن حمل مريم بابنها المسيح :

« لما كانت مريم أُمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا ، وُجِدَت حُبلى من الروح القدس » (١ : ١٨) .

(هـ) ولقد نزل الروح القدس على المسيح واستمر معه بعد أن عمَّده يوحنا فى ماء الأردن :

« ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً ، وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة » .

(لوقا ٣ : ٢١ - ٢٢)

وقال يوحنا المعمدان : « الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى : الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس » .

(يوحنا ١ : ٣٣)

« فى تلك الأيام جاء يسوع .. واعتمد من يوحنا .. وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه » .

(مرقس ١ : ٩ - ١٠)

« إذ السموات قد انفتحت فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه » .

(متى ٣ : ١٦)

« فالروح القدس - روح الله - استقر على المسيح ، إذ أيّده الله به ، استمر يعمل معه طيلة رسالته .

(و) وكان الروح القدس مؤيداً للمسيح فى دعوته ومعجزاته :

« أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس ..

ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل .. وكان يُعَلِّم فى مجامعهم » .

(لوقا ٤ : ١ ، ١٤ - ١٥)

« أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا : هذا لا يُخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين ، فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم .. إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » (متى ٢ : ٢٤ - ٢٨) .

وكما بارَكَ الروح القدس زكريا واليصابات وابنهما يحيى وسمعان التقى ، فقد بارَكَ كذلك تلاميذ المسيح بعد رحيله عنهم :

« ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة ، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم .

وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » (أعمال الرسل : ٢ : ١ - ٤) .

إن الروح القدس يعمل من قبل أن يأتى المسيح ومن بعد ما جاء، لكن روح الحق - الذى انفرد يوحنا بالحديث عنه دون بقية الأناجيل وبيَّن أنه إنسان مؤمن باللّه يصدق الحديث - شيء آخر ، له عمل ورسالة يخاطب بها العالَم لا تبدأ إلا بعد رحيل المسيح .

*

هذا .. ومن المعلوم أن إنجيل يوحنا يعتبر آخر الأناجيل كتابة بعد رفع المسيح ، فقد كُتِبَ ما بين عام ١٠٠ - ١٢٥ م وأنه لم يتقيد بالتسلسل التاريخى للأحداث فاختلف لذلك كثيراً مع الأناجيل الأخرى .. ويعتذر بعض العلماء عن ذلك بشيخوخة يوحنا الذى كتب إنجيله ورسائله أو أملاها حسبما أسعفته ذاكرته . كذلك عُرِفَ عن يوحنا لغته الشاعرية التى تكلمت كثيراً عن الحب والمحبة وخلطت الخالق بالمخلوق ، ولكنه لم يعرف تلك المحبة عندما تكلم عن اليهود الذين ذكر اسمهم فى إنجيله أكثر من عشر مرات عن نظيره فى أى إنجيل آخر . ويتضح ذلك مما يلى :

- جعل التلاميذ من غير هذا العالَم وكذلك المسيح ، فقال على لسانه :

« ليسوا من العالَم كما أنى لست من العالَم » (١٧ : ١٤) .

- جعل التلاميذ والمسيح واللّه شيئاً واحداً فقال على لسان المسيح :

« ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » (١٧ : ٢١) .

*

٤ - اللّه وحده هو مرسل المرسلين وليس المسيح :

تقول الفقرة (٣ : أ) إن المسيح سيطلب من اللّه أن يرسل لمن سيرحل عنهم رسولاً آخر ، وذلك فى قوله : « أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر » (١٤: ١٦) . وفى ترجمة أخرى دقيقة فإن هذه الفقرة تُقرأ هكذا : « أتوسل إلى الآب .... » .

ثم تطوَّر ذلك فى الفقرة (٣ : ب) إلى القول : « سيرسله الآب باسمى » . (١٤ : ٢٦)

ثم تطوَّر مرة أخرى ليكون فى الفقرة (٣ : جـ) : « الذى سأرسله أنا إليكم من الآب » (١٥ : ٢٦) ، وفى الفقرة (٣ : د) : « إن ذهبت أرسله إليكم » (١٦: ٧) . لكن الحق الذى لا مرية فيه هو أن اللّه وحده هو مرسلُ المرسلين وليس المسيح . إن هذا هو ما أعلنه المسيح على رؤوس الأشهاد وبيَّنه قولاً وفعلاً من أنه ليس له من الأمر شىء ، وأن الأمر كله للّه ، فقال : « **تعليمى ليس لى ، بل للذى أرسلنى** .. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من اللّه أم أتكلم أنا من نفسى . مَن يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . وأما مَن يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم » (يوحنا ٧ : ١٦ - ١٨) ، « إنى لم آت من نفسى ، بل ذاك أرسلنى » (يوحنا ٨ : ٤٢) .

« **الآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى .. أنا قد أتيتُ باسم (اللّه) ولستم تقبلوننى** » (يوحنا ٥ : ٣٧ ، ٤٣) .

« **إنى لم أتكلم من نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم . وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية . فما أتكلم به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم** » (يوحنا ١٢ : ٤٩) .

« **أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً .. إنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى** » (يوحنا ٥ : ٣٠) .

« **ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة** » (مرقس ٦ : ٤ - ٥) .

وكما عجز عن الفعل واعترف بذلك ، فقد عجز عن الإخبار بالغيب واعترف بذلك أيضاً . فحين سأله تلاميذه عن « انقضاء الدهر » ويوم القيامة ، قال لهم :

« **أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا (أنا) إلا الآب** » (مرقس ١٣ : ٣٢) .

واعترف المسيح أنه لا يملك من أمر الآخرة شيئاً . فحين « تقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنى زبدى قائلين : يا معلم ، نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا . فقال لهما : ماذا تريدان أن أفعل لكما ؟ . فقالا له : أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك . فقال لهما يسوع : لستما تعلمان ما تطلبان .. الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أُعِد لهم » .

(مرقس ١٠ : ٣٥ - ٤٠)

من الواضح إذن أن المسيح لا يملك من الأمر شيئًا ، وأنه لم يأت من نفسه بل اللّه - مالك الملك ومَن له الأمر والخلق - هو الذى أرسله . وهو الذى يحكم بين عباده يوم القيامة ويحدد مصائرهم . ومن ثَمَّ يتبين أن كل حديث عن إرسال المسيح « لروح الحق » بعد رحيله عن الدنيا ، إنما هو زعم باطل وافتراء على الحق .

*

٥ - روح الحق « ما ينطق عن الهوى » :

« لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل بكل ما يسمع يتكلم به »

(يوحنا ١٦ : ١٣)

*

٦ - روح الحق يعلِّم الناس الدين الكامل :

« فهو يُعَلِّمكم كل شىء ، ويُذكِّركم بكل ما قلته لكم ... وهو يرشدكم إلى جميع الحق » (يوحنا ١٤ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣) .

*

٧ - ما جاء به روح الحق باق إلى الأبد :

إن لغة الكتاب (المقدس) تعتبر الحديث عن الأنبياء مكافئاً صحيحاً للحديث عن الكتب التى جاء بها هؤلاء الأنبياء . ومن أمثلة ذلك ما ذكره لوقا فى قصة الغنى الذى استمتع بالدنيا وكانت عاقبته الجحيم ، ولعازر الفقير الذى كانت عاقبته النعيم فى حضن إبراهيم . فحين طلب ذلك الغنى المعذب إلى أبينا إبراهيم أن يرسل لعازر من الأموات لينذر أهل بيته ، « حتى يشهد لهم لكيلا

يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا . **قال له إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم .**

فقال : لا يا أبى إبراهيم . بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون . **فقال له : إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء** ، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون » (لوقا ١٦ : ٢٨ - ٣١) .

لقد مات موسى والأنبياء وتركوا كتباً هى التى أشار إليها أبونا إبراهيم ، وبيَّن أن الحديث عنها هو بمثابة الحديث عنهم . وكان ذلك ما أكده لوقا مرة أخرى فى قوله : « ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب » (لوقا ٢٤ : ٢٧) .

فعلى ضوء ذلك يُفهم معنى قول المسيح فيما يجىء به الرسول الآتى بعده حين أعلن لتلاميذه أنه : « يمكث معكم إلى الأبد » (يوحنا ١٤ : ١٦) . أن تلاميذ المسيح الذين قال لهم هذا الكلام لم يمكثوا إلى الأبد ، لكنهم ماتوا أو قُتلوا - جميعاً - منذ تسعة عشر قرناً . فهذا القول لا يصمد للتأويل حرفياً ولكنه يعنى أن ما يأتى به « روح الحق » إلى الأجيال المتلاحقة سيبقى إلى يوم الدين .

*

وخلاصة القول : إن دراسة هذه النبوءة على ضوء ما جاء فى الكتاب (المقدس) وما نسبته الأناجيل للمسيح من أقوال يقطع بأن **الرسول « روح الحق » الآتى بعد المسيح إنما هو : إنسان ، وأنه غير روح القدس الذى لا يرتبط مجيئه برحيل المسيح ، وأن الله وحده هو مرسل المرسلين وليس المسيح ، وأن هذا الرسول « ما ينطق عن الهوى » ، وأنه يعلّم الناس الدين الكامل ، وأن ما جاء به وحياً من الله باق أبد الدهر .**

إن هذا يقود إلى التسليم بأن هذه النبوءة تنطبق جملة وتفصيلاً على محمد بن عبد الله ، رسول الله إلى الناس جميعاً ، الذى أكمل الله به الدين وختم به النبوة ، فقال وقوله الحق : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (المائدة : ٣) .

وتكفل الله بحفظ كتابه - القرآن العظيم - فقال فى شأنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩)

* * *

اسم الرسول الآتى بعد المسيح

ذكرنا سلفاً أن التراجم المتداولة لإنجيل يوحنا اتفقت على اسمه الثانى وهو : « روح الحق » ، بينما اختلفت فى اسمه الأول لاختلاف فهمهم لمعنى كلمة يونانية قد يسمعها شخص غير مدقق فيكتبها : باراقليط (Paraclet) ، مما اضطر التراجم الفرنسية الحديثة أن تنقلها صوتياً على هذه الصورة .

ونريد الآن أن نتعرف على حقيقة هذا الاسم الأول الذى اختلفوا فيه .

*

فى دراسة دينية ولُغوية رصينة قام بها عالِم اللاهوت المسيحى (سابقاً) **ديفيد بنجامين كلدانى** ، وجاءت ضمن دراسات وبحوث أخرى نشرها فى كتابه : « **محمد فى الكتاب المقدس** » [1] ، بعد أن اهتدى إلى الإسلام وتسمى « **عبد الأحد داود** » - نجد فصلاً عن البارقليط ، يقول فيه : « أما الإنجيل الرابع فهو مثل أى كتاب أو سِفر آخر فى العهد الجديد ، فقد كُتِبَ باليونانية وليس بالآرامية التى كانت اللغة الوطنية لعيسى وتلاميذه . وبالتالى فإنه تواجهنا مرة أخرى نفس الصعوبة التى لقيناها عندما كنا نبحث فى ' يودوكيا ' الخاصة بمار لوقا ، وهذه الصعوبة تتلخص فى السؤال : ما هى الكلمة أو الاسم الذى استعمله يسوع فى لغته الأصلية والتى نقلها الإنجيل

---

(١) ترجمة فهمى شتا - دار الضيافة للنشر والتوزيع - الأردن / عمان ١٩٨٥

الرابع بلفظ : « البرقليط » أو « الفرقليط » ثم تُرْجِمَت إلى المُعَزِّى فى جميع نسخ ذلك الانجيل ؟ ...

إن الفرقليط لا تعنى المُعَزِّى أو المحامى ، فى الواقع ، وهى ليست كلمة كلاسيكية بالمرة . والتهجئة للكلمة هى (Paraklytos) ومعناها فى الأدبيات اليونانية : ' شخص يدعى للمساعدة ، محام ، وسيط ' .. ولا حاجة لأن يدَّعى المرء أنه عالِم يونانى ليعرف أن الكلمة اليونانية التى ترادف المُعَزِّى ليست : باراكليتوس (Paraclytos) بل باراكالون (Paracalon) وثمة كلمة يونانية أخرى مرادفة لكلمة : مُعَزِّى ، وهى : باريجوريتس (Parygorytys) ، بمعنى : أنا أُعَزِّى . أما بالنسبة للمعنى الآخر لكلمة : وسيط أو محامى - الذى يتضمنه الكلمة الكنسية : بارقليط (Paraclet) فإننى أصر ثانية على أن : باراكالون (Paracalon) وليس : باراكليتوس (Paraclytos) ، وهى الكلمة التى تعطى معنى مشابهاً . واللَّفظة اليونانية المرادفة لكلمة : محامى (Advocate) ، هى (Sanegorus) ولكلمة : وسيط أو شفيع ، هى : (Meditea) ...

إن الاعتقاد بأن موت عيسى على الصليب (حسب زعم النصارى) قد فدى المؤمنين من لعنة الخطيئة الأصلية ، وأن روحه وبركته وحضوره فى القربان المقدس سيبقى معهم إلى الأبد ، **هذا الاعتقاد تركهم دون حاجة إلى عزاء أو إلى مجىء مُعَزٍّ .**

ومن ناحية أخرى فإنهم إذا كانوا بحاجة إلى مُعَزٍّ كهذا فإن جميع الادعاءات والمزاعم النصرانية حول تضحية المسيح وتحمله آلام الصلب تتهافت وتصبح باطلة .

والواقع أن لغة الأناجل والرسائل تدل بوضوح على أن العود الثانى لعيسى فوق السحاب كان وشيكاً [1] . (متى ١٦ : ٢٨ ، مرقس ٩ : ١ ، لوقا ٩ : ٢٧ ، تسالونيكى الأولى ٤ : ١٥ - ١٧) ...

---

(١) تؤكد الأناجيل ورسائل التلاميذ وبولس أن المسيح تنبأ بعودته سريعاً إلى الأرض بعد أن ينهدم النظام الكونى « والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع » وأن ذلك سوف يحدث قبل أن يموت الجيل الذى عاصره (٢٤ : ٣ ، ٢٩ : ٣٤) ، ومن ثَمَّ فليسوا فى حاجة إلى معز . إنهم فى حاجة إلى رسول يعلمهم الحق بعد أن أثبت الواقع استحالة تحقيق تلك النبوءة التى ألحقت ظلماً بالمسيح .

إن البرقليطوس المذكور فى إنجيل القديس يوحنا لا يعنى ولا يمكن أن يعنى : المُعَزِّى أو المحامى ، وإن الكلمة صورة مشوَّهة من كلمة أخرى هى : بيرقليطوس (Periqlytos) .

إن كلمة : بيرقليطوس ، تعنى من الناحية اللُّغوية البحتة : ' الأمجد ، والأشهر ، والمستحق للمديح ' . وإننى أتناول مرجعاً هو قاموس إسكندر ، الاغريقى / الفرنسى ، حيث يفسر كلمة (Periqleitos) فيقول :

' Qu' on peut entendre de tous les côtés ; qu'il

est facile à entendre. Très celebre ; = Periqleitos,

très célèbre, illustre, glorieux ; = Periqleyos ,

très célèbre, illustre, glorieux, = Kleos, glorire,

renommée, célébrité ' .

هذا الاسم المركب مكون من : المقطع الأول (peri) ، والمقطع الأخير (Kleotis) وهذا يُشتق من التمجيد أو الثناء . والاسم الذى أكتبه بالحروف الإنجليزية ، وهو : (Periqleitos) أو (Periqlytos) ، **يعنى بالضبط ما يعنيه اسم أحمد باللُّغة العربية ...**

إن التنزيل القرآنى القائل بأن عيسى ابن مريم أعلن لبنى إسرائيل أنه كان ﴿ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (١) واحد من أقوى البراهين على أن محمداً كان نبياً وأن القرآن تنزيل إلٰهى فعلاً ، إذ لم يكن فى وسعه أبداً أن يعرف أن كلمة البرقليط كانت تعنى « أحمد » إلا من خلال الوحى والتنزيل الإلٰهى . وحجة القرآن قاطعة ونهائية لأن الدلالة الحرفية للاسم اليونانى تعادل بالدقة ودون شك كلمتى : أحمد ، ومحمد .. ومن العلامات الرئيسية للبرقليط : روح الحق ، عندما يأتى أنه سوف يُبَكِّت العالم على الخطية (يوحنا ١٦ : ٨) . ولا يوجد عبد آخر من عباد اللّه ، سواء أكان ملكاً مثل

---

(١) الصف : ٦

داود وسليمان ، أو نبياً مثل إبراهيم وموسى ، بلغ بهذا التبكيت إلى مداه بتصميم وحماس وشجاعة ، كما فعل محمد . فكل خرق للشريعة أو القانون إثم وخطيئة ، ولكن الوثنية هى أم الخطايا وأصلها [1] . فنحن نأثم فى حق اللّه إذا أحببنا شيئاً أكثر من حبنا إياه ، ولكن عبادة أى شخص أو كائن آخر إلى جانب اللّه ، تعتبر كفراً .. إن جميع العاملين للّه قاموا بإنزال العقوبة على مرتكبى الخطايا من جيرانهم وشعوبهم ، ولكن لم يفعلوا ذلك على نطاق العالَم كله كما فعل محمد ، إذ لم يقتصر عمله فقط على اقتلاع الوثنية من شبه الجزيرة العربية أثناء حياته ، بل قام بإرسال مبعوثين إلى كسرى أبرويز وهرقل ، وهما حاكمان لأعظم امبراطوريتين (فارس وروما) ، وإلى ملك أثيوبيا ، وحاكم مصر ، والعديد من الملوك والأمراء الآخرين ، يدعوهم إلى اعتناق دين الإسلام ونبذ الكفر والعقائد الباطلة .

وبدأ هذا التبكيت من محمد بتبليغ كلمة اللّه كما تلقاها ، أى بترتيل آيات من القرآن ، ثم بالوعظ والتعليم وممارسة الدين الحقيقى . ولكن عندما عارضته قوى الظلام والكفر بالسلاح ، استل سيفه وعاقب العدو الكافر . وكان ذلك تنفيذا لأمر اللّه (سفر دانيال : ٧) . وقد منح اللّه لمحمد القوة والسلطان لتأسيس مملكة اللّه (الملكوت الموعود) ، وليصبح أول أمير وقائد عام لها ، تحت سلطة ملك الملوك ورب الأرباب (اللّه) ..

والعلامة الأخيرة ، وليست أقل العلامات قيمة للبرقليط هى أنه : « لا يتكلم من نفسه ، بل بكل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » .

(يوحنا ١٦ : ١٣)

ولا يوجد شىء أو كلمة أو تعليق من محمد وأصحابه الطاهرين ضمن نصوص القرآن الكريم . فكل محتوياته من كلام اللّه المُنَزَّل ، إذ كان محمد ينطق بكلمة اللّه كما سمعها من جبريل ، وكانت تُدَوَّن على يد كَتَبة الوحى الأمناء . وكلمات الرسول وأقواله وتعاليمه على قداستها ورفعة قدرها ليست من كلام اللّه ، ولذلك فهى تدعى بالأحاديث .

---

(١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (النساء : ٤٨ ، ١١٦) .

إذن ، أليس هو الفرقليط الحقيقى ، حتى بهذا الوصف ؟ وهل باستطاعتكم أن تبيِّنوا شخصاً آخر إلى جانب أحمد ، لديه كل هذه الصفات المادية والعملية ، وتلك العلامات والمميزات التى للفرقليط ؟ إنكم لا تستطيعون ! .... [1] .

*

ذلك بعض ما جاء فى دراسة هذا العالم ، والقس السابق ، دافيد بنجامين الكلدانى ، وانتهت به إلى قبول الإسلام ديناً حقاً ، قائماً على العلم والبرهان . ولقد كان تعليقه على نبوءة المسيح التى ذكرها كاتب إنجيل يوحنا بعد ما لحق بها من تحريف ، أن صيغتها الحالية التى تقول على لسان المسيح : « أنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعَزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد » (١٤ : ١٦) ، أنها تحتاج إلى تصحيح .

فهو يقول : « إذا أردنا أن نجد المعنى الحقيقى لهذه الكلمات المسروقة أو المحرَّفة على الصورة التالية :

« سوف أذهب إلى الآب . وسيرسل لكم رسولاً سيكون اسمه البرقليطوس (أحمد) لكى يبقى معكم إلى الأبد . » وبالكلمات التى أُضيفت والتى تحتها خط ، يعود تواضع عيسى الذى سُلِبَ منه » [2] .

ولقد سبق أن برهنا على أن الحديث عن النبى يمكن أن يعنى الحديث عن كتاب الله الذى جاء به إلى الناس .

*

بقيت إضافة لا بد منها ، نعرضها باختصار فيما يلى :

(أ) صدق تنبؤات الرسول :

نطق محمد رسول الله بالقرآن كلام الله ، وكان مما جاء فيه تنبؤات عن أحداث المستقبل ، سواء ما تعلق بالرسالة والرسول ، أو بأحداث تخص القُوَى الكبرى فى العالم آنذاك .

---

(١) محمد فى الكتاب المقدس : عبد الأحد داود . ص ٢٠٢ - ٢٢٩

(٢) المرجع السابق . ص ٢١٩

- فلقد تنبأ القرآن بحفظ شخص الرسول من مؤامرات الناس ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة : ٦٧) .

- وتنبأ القرآن بانتصار الإسلام ونبيه ، فنزلت آياته والمسلمون آنذاك يعانون الضعف والتعذيب والاضطهاد - تقول : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر : ٤٤ - ٤٥) .

- وتنبأ القرآن بانتصار الروم على الفُرس رغم ما نزل بهم آنذاك من هزائم منكرة ، إذ احتلت جيوش فارس : الشام ومصر وبلاد الأناضول ، وتقدمت شمالاً حتى بلغت البوسفور .

وفى تلك الأثناء نزلت آيات القرآن لتعلن للناس كافة انتصار الروم « فى بضع سنين » ، ولتبقى إلى الآن تُتلى صباح مساء ، وتُعرف باسم سورة الروم ، التى تُستفتح بقول الله : ﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ ، لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

(الروم : ١ - ٦)

إن هذا يكفى للتأكيد على أن الرسول الآتى بعد المسيح هو روح الحق ، محمد الذى نزل عليه القرآن ليُخبر حقاً وصدقاً بالغيب ، والذى قال فى شأنه المسيح : « ويخبركم بأمور آتية » (١٦ : ١٣) .

(ب) تحريفات كَتَبة الأسفار وأخطاؤهم :

لقد بيَّنا فى دراسة سابقة ما انتهى إليه علماء الكتاب (المقدس) من تعرض نصوصه للتحريف والتبديل سواء عن قصد من كَتَبتها ، أو خطأ منهم بسبب سوء الاستنساخ نتيجة لضعف السمع أو البصر أو كليهما ... إلخ [1] . ولقد بيَّنت هذه الدراسة أن صفة « المعُزَّى » لا تتفق وواقع الحال بعد المسيح .

---

(١) راجع كتاب : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس .

وأن الغموض الذى لحق بمعناها فى اليونانية إنما يرجع إلى تشابه النطق الصوتى لكلمتين يونانيتين نكتبهما كالآتى :

باليونانية : περlκλν Tos	παρκλη Tos
بالإنجليزية : Periklytos	Parakletos
بالعربية : بيريقليطوس	باراقليطوس
المعنى : رجل الحمد . أحمد	محام . مُعَزٍّ (حسب الترجمة الشائعة)

لقد تعرضت أسفار الكتاب (المقدس) كثيراً لهذا النوع من الأخطاء . وتعطينا « دائرة المعارف الأمريكية » أمثلة ملموسة لذلك تتطلب إعادة تصحيح بعض العبارات التى لا يزال الناس يقرؤونها إلى اليوم فى التراجم المتداولة دون أن يدركوا لها معنى ، لأنها لا يمكن أن تعطى معنى مقبولاً على الصورة التى لا تزال عليها حتى الآن . وفى هذا تقول :

« وثمة نوع آخر من الأخطاء نجده فى المزمور ٤٩ : ١١ فالجزء الأول من الفقرة العبرية يمكن ترجمته إلى الإنجليزية كالآتى :

Their inwardness (qirbam) is their homes forever, their dwelling places to all generations .

واضح أن هذا الكلام لا معنى له . وقد تُرْجِم فى نسخة الملك چيمس بتصرف - بعد إضافة الكلمات التى تحتها خط كالآتى :

Their in ward thought is that their houses shall continue forever, and their dwelling places to all generations .

وهذه الكلمات المائلة غير موجودة فى النص العبرى على الإطلاق » .

وفى الترجمة العربية لنسخة البروتستانت تُقرأ هذه الفقرة كالآتى :

« **باطنهم أن بيوتهم إلى الأبد مساكنهم إلى دور فدور** »

(المزمور ٤٩)

وتستطرد دائرة المعارف الأمريكية فتقول : « لكننا إذا رجعنا إلى النسخة السبعينية والنسخة السوريانية والنسخة الأرامية ، لوجدنا أن هذه الفقرة يمكن ترجمتها إلى الإنجليزية كالآتى :

Their graves (qibram) are their homes forever, their dwelling places to all generations .

وواضح أن الخطأ النسخى نشأ عن تبادل الحرفين b & r كل مكان الآخر ، حيث تحوّلت الكلمة التى كُتبَت أصلاً (qibram) إلى كلمة (qirbam) » [1] .

ويمكن ترجمة الفقرة الإنجليزية المذكور آنفاً إلى العربية كالآتى :

« **قبورهم هى بيوتهم ومساكنهم إلى دور فدور** » . ولا شك أن هذا يعطى معنى مفهوماً غير الذى تعطيه الفقرة ١١ من المزمور ٤٩ .

*

« ولقد أكد اكتشاف وثائق البحر الميت (عام ١٩٤٧) ضرورة إدخال بعض التغييرات على النسخة العبرية الحديثة كما فى سِفر أشعياء ٤٩ : ٢٤ حيث تستبدل كلمة (البار) المذكورة بها إلى كلمة (الجبار) التى تتفق عليها النسخ السبعينية والسوريانية واللاتينية (وهى تُقرأ فى الترجمة العربية لنسخة البروتستانت هكذا :

« هل تسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبى المنصور » .

ويرجح أن يكون خطأ الكاتب فى النسخة العِبرية الحديثة بسبب تشابه كلمتى البار والجبار .

كذلك يرى أغلب العلماء ضرورة تهذيب فقرة من سِفر عاموس ٦ : ١٢ والتى تُقرأ هكذا :

« هل تركض الخيل على الصخر أو **يحرث عليه بالبقر** » - إذ أن عدم التوافق الموجود فى هذه الفقرة يمكن إرجاعه إلى خطأ من الكاتب الإسرائيلى

---

(١) (الأمريكية : جـ ٣ - ص ٦٢٢) .

بسبب ضم كلمتين عبريتين كان يجب فصلهما ، وعلى هذا الأساس تكون قراءة النص بعد معالجته كالآتى :

« هل تركض الخيل على الصخر أو **تحرث الثيران فى البحر** » [1] .

*

ليس عجيباً إذن ، أن تتحوّل كلمة : أحمد ، أو رجل الحمد ، إلى : المُعَزّى - إذا افترضنا حسن النية - بسبب سوء استنساخ الكلمة اليونانية الأصلية .

*

(جـ) المسيح وأسماء الناس :

تُبَيِّن الأناجيل أن المسيح اعتاد أن يُطلق اسماً آخر على بعض أحبابه ، يرى فيه دلالة صادقة تميز شخصية كل منهم . فلقد فعل ذلك مع بعض تلاميذه الإثنى عشر ، إذ « **جعل لسمعان اسم بطرس ، ويعقوب ابن زبدى ويوحنا أخا يعقوب وجعل لهما اسم : بوانرجس ، أى ابنى الرعد** » .

(مرقس ٣ : ١٦ - ١٧)

ومن هنا كان إطلاق المسيح اسم : أحمد - بصيغة أفعل التفضيل هذه - على محمد رسول الله ، الآتى إلى الناس من بعده ، متفقاً تماماً وما عُرِفَ عنه . وهو برهان واضح ، يضاف إلى البراهين الأخرى ، التى تؤكد انطباق النبوّة التى نطق بها المسيح فى إنجيل يوحنا على محمد الرسول روح الحق ، إذ تقول إنه «لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به » .

لقد عُرِفَ بين الناس ، قبل النبوّة ، باسم : محمد ، وعُرِفَ بينهم بعد النبوّة ، باسم : محمد ، وذكره القرآن بهذا الاسم أربع مرات . **وعلى هذا فإن المنطق البسيط يقول إنه لو كان القرآن من عند محمد لكان أولى به أن يذكر فى تبشير المسيح به - الذى ذكره القرآن - اسم : محمد ، وليس اسم : أحمد .**

---

(١) المرجع السابق - ص ٦٢٢

لكنه النبى الصادق الذى ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلا وَحْىٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَىٰ ﴾ (النجم : ٣ - ٥) .

ولهذا جاءت بشارة المسيح فى القرآن هكذا :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (الصف : ٦) .

* *

لقد كانت هذه الإضافات براهين إضافية للتأكيد على تمام انطباق نبوءة المسيح - التى ذكرها إنجيل يوحنا - على محمد رسول الله .

* * *

أما بعد ..

إن مسيحية اليوم التى تخلط بين الله والمسيح وتقوم على التثليث تعتبر أكبر الديانات اتباعاً ، فهى تمثل العالم الذى يتعرض لتبكيت شديد فى القرآن الذى جاء به محمد يقول :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِى لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِى الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً ﴾ (مريم : ٨٨ - ٩٥) .

لقد جاء القرآن ليُنذر : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِباً ﴾ (الكهف : ٤ - ٥) .

* * *

حقاً ، لقد بَشَّر المسيح بنبى الإسلام فقال :

﴿ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الصف : ٦) .

ولقد ترجم القسيس أوسكان الأرمنى سفر أشعياء إلى اللُّغة الأرمنية وطُبِعَت ترجمته عام ١٧٣٣ وقد جاء فى الإصحاح الثانى والأربعين منه هذه الفقرة :

« سبِّحوا الله تسبيحاً جديداً ، وأثر سلطنة على ظهره ، واسمه أحمد » [١].

وحين جاء نبى الإسلام كانت المسيحية قد صارت دين الإمبراطورية الرومانية ، وكان المسيحيون أُمماً كثيرة تؤمن باسم المسيح ، لكنها تختلف فيه اختلافاً كبيراً ، وصل إلى حد القتال المسلح وإراقة الدماء ورمى كل طائفة مَن يخالفها المعتقد بالكفر والهرطقة .

ولقد تعرَّض هؤلاء للتبكيت والنذير والوعيد بعد أن جاءهم فيه القول الفصل والقصص الحق :

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل : ٦٤) .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ *

الحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِّنَ المُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ *

إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالمُفْسِدِينَ *

---

(١) من كتاب « خلاصة سيف المسلمين » - تأليف حيدر على القرشى ، مطبعة أنتونى بورتولى ، ص ٦٣ ، ٦٤

قُلْ يَا أَهْلَ الكتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اَشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٥٩ - ٦٤) .

والآن نقول : إن خلاصة بشارات العهدين - القديم والجديد - بنبى الإسلام نقرؤها واضحة فى القرآن بعد أن رأينا كيف اتفقت عليها الكتب المقدسة الثلاثة وهى التوراة والإنجيل والقرآن .

يقول الحق الرحيم : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ ، فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

(الأعراف : ١٥٦ - ١٥٨)

* * *

ثالثاً - بشارات أسفار البراهمة

لقد تميَّز الباحثون فى العقائد والإلهيات من مسلمى شبه القارة الهندية ، بالأصالة والعمق والدقة والصبر الجميل . ونخص بالذكر منهم رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى مؤلف الكتاب القيم « إظهار الحق » الذى يُعتبر مرجع كل العصور فى الحوار المسيحى الإسلامى ، ثم أبو الحسن الندوى ومؤلَّفه « ماذا خسر العالَم بانحطاط المسلمين » ، ووحيد الدين خان مؤلف « الإسلام يتحدى » - ومولانا أبو الكلام آزاد فى بحثه عن « ذى القرنين » ، ثم مولانا عبد الحق

فديارتى مؤلّف كتاب « محمد فى الأسفار الدينية العالَمية » وفى حقه يقول عباس محمود العقاد : لقد استفاد المؤلف « فى مقاراناته ومناقضاته بمعرفته للفارسية والهندية والعبرية والعربية وبعض اللُّغات الأوروبية ، ولم يقنع فيه بكتب التوراة والإنجيل بل عمَّم البحث فى كتب فارس والهند وبابل القديمة وكانت له فى بعض أقواله توفيقات تضارع أقوى ما ورد من نظائرها فى شواهد المتدينين كافة ، ولا نذكر أننا اطلعنا على شاهد أقوى منها فى روايات الأقدمين أو المحَدثين من أتباع الديانات الأُولى أو الديانات الكتابية » [1] .

*

يقول عبد الحق : « إن اسم الرسول العربى « أحمد » مكتوب بلفظه العربى فى السامافيدا من كتب البراهمة وقد ورد فى الفقرة السادسة والفقرة الثانية من الجزء الثانى ونصها :

إن أحمد تلقى الشريعة من ربه وهى مملوءة بالحكمة ، وقد قُبِسَ منه النور كما يُقبَس من الشمس » وإن وصف الكعبة المعظمة ثابت فى كتاب الآثار فافيدا حيث يسميها الكتاب : بيت الملائكة .

وفى مواضع كثيرة من الكتب البرهمية يرى المؤلف أن النبى محمداً مذكور بوصفه الذى يعنى **الحمد الكثير والسمعة البعيدة** » [2] .

* * *

رابعاً - بشارات أسفار المجوسية

يوجد فى كتب زرادشت التى اشتُهِرَت باسم الكتب المجوسية نبوءة فى كتاب زندافستا عن « **رسول يُوصَف بأنه رحمة للعالَمين (سوشيانت) ، ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة أبا لهب (إنجراميينيا) ، ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفواً أحد (هيج جيز باونمار)** وليس

---

(١) مطلع النور : ص ١٢ (٢) المرجع السابق : ص ١٢ ، ١٣

له أول ولا آخر ولا ضريع ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا ابن ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة .

« (جزآخاز وإنجام وأنباز ودشمن ومانندويار وبدر ومادر وزن وفرزند وحاى سوى وتن أسا وتنانى ورنك ويوى أست) » [1] .

* *

● رسول العالمين :

تُبيِّن دقة البناء القرآنى إمكانية اختلاف معنى الكلمة الواحدة حين تختلف صورتها من النكرة إلى المعرفة فهناك فرق بين : صاعقة والصاعقة ومطر والمطر، وماء والماء [2] .

وعلى سبيل المثال فإن كلمة « الماء » فى القرآن الكريم تعنى دائماً الماء الذى ينزل من السماء فتقوم به حياة الكائن الحى من نبات وحيوان وإنسان ، وهو الماء الذى يتكوَّن من اتحاد عنصرى الإيدروچين والأوكسچين اتحاداً كيميائياً بنسبة وزنية ثابتة .

ومن أمثلة ذلك قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِه، حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِه الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف : ٥٧)

أما إذا استُخْدِمت كلمة « ماء » فإنها قد تعنى « الماء » الطبيعى كما فى قوله :

﴿ وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِه ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً * لِّنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِىَّ كَثِيراً ﴾ (الفرقان : ٤٨ - ٤٩) .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٣

(٢) راجع كتاب المؤلف : العلوم الذرِّية الحديثة فى التراث الإسلامى - ص ١٣٨

كما أن كلمة « ماء » قد تعنى شيئاً آخر غير الماء الطبيعى كما فى قوله :

﴿ فَلْيَنظُرِ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ (الطارق : ٥ - ٦) .

فهذا الذى قيل إنه ماء هو جسم سائل يختلط أمره بالماء ويدخل فيه الماء كأحد مكوِّناته إلا أنه شىء مختلف عن الماء الطبيعى .

كذلك يكون الحال مع كلمة « الكتاب » وما يُضاف إليها أو يتعلق بها . فمن المعلوم أن القرآن الكريم قد استخدم لفظ « أهل الكتاب » ليعنى اليهود والنصارى أحدهما أو كليهما .

فهو يعنى اليهود فى قوله : ﴿ وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

(آل عمران : ٧٢)

وهو يعنى النصارى فى قوله : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِى دِيْنِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إلا الحَقَّ ، إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ، فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُواْ ثَلَاثَةٌ ، انْتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ .

(النساء : ١٧١)

وهو يعنى اليهود والنصارى فى قوله : ﴿ لَيْسُواْ سَوَاءً ، مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِى الخَيْرَاتِ ، وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران : ١١٣ - ١١٤) .

إن هذا كله يعنى أنه كلما جاءت كلمة « الكتاب » مضافة فإنها لا تشير بالضرورة إلى أهل الكتاب .

ولقد حدث الخطأ ووقع المحظور حين ظن بعض المفسِّرين ذلك فى تفسير قوله تعالى فى آخر سورة الرعد :

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً ، قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ (الرعد : ٤٣) .

يقول ابن كثير فى تفسيره : « قيل : نزلت فى عبد الله بن سلام . قاله مجاهد ، **وهذا القول غريب** لأن هذه الآية مكية وعبد الله بن سلام إنما أسلم فى أول مقدم النبى - صلى الله عليه وسلم - المدينة .

وكان ابن جبير ينكر أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام ويقول : هى مكية ..

والصحيح فى هذا أن ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ اسم جنس ».

لا شك أن اعتراض ابن جبير على القول بأن هذه الآية نزلت فى عبد الله بن سلام إنما هو اعتراض منطقى لأنه قائم على البرهان .

لقد أصبح واضحاً لنا الآن أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ لا يقتصر فقط على « أهل الكتاب » إنما يعنى كذلك مَن عنده علم كتب تسرَّبت إليها نبوءات وبشارات تناقلها الناس عن أنبياء الله ورسله الكثيرين ومنهم الذين عاشوا على هذه الأرض ولم ندر من أمرهم شيئاً لأنهم ممن قال الله فيهم :

﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ .

(النساء : ١٦٤)

لذلك وجدنا بشارات النبى فى أسفار البراهمة والمجوس بجانب أسفار اليهود والمسيحيين ، وما ذلك إلا لأنه رسول الله إلى هذا العالم ، فكان أن ارتبط به العالم على اختلاف مِلله ونحله ، وهتف باسمه ووصفه قبل أن يراه ، وصدق فيه قول الحق : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

* * *